في ظلال الهجرة

غــــزوة بدر

للأستاذ ابراهيم مأمون

ذِكْرى ، كما شاء الزمانُ أجالَها   وخطى نكرت العالمين حيالَها

ما المرسَلات وما العواصفُ؟ ويحُها   هل جزْن بيداً أو طوينَ تلالَها؟

وإلامَ يحثثْ الهجان حُدَاتها   في مهمَهٍ سبقتْ عليه ظلالَها ؟

قل للطوائر في الجواء حوائما :   ربُّ السماء لغيركنَّ أحالَها

للريح . تنتظم الغمام ظعائناً   وتمُدّ من لُمَعِ الشعاع كلالها

حرم السماء مجالُها ، وكأنها   سفنٌ تخذْن من العباب مجالها

يَمْشِين في حرس السماء ، تُديرها   أيدي الهواء . وما وعَيْنَ عِقالها

⊛ ⊛ ⊛

هي آذنتْ « بدراً » بنصر « محمد »   وعلى يديه استنزلَتْ آمالهـا

جاءت « بجبريل السماء ووحيها » ،   وحدَتْ بآمال العلا « ميكالها »

تلك السماء تشقّقتْ بغمامها   تولى الرّسالة في « العريش » صيالَها

أزْجتْ إلى جيش الحنيف ملائكا   لَمس القليبُ طِعانها ونزالها !

مَثَلَ الحمام برفعها وبخفضِها ،   وجرى الهوانُ يمينَها وشمالَها !

سائِلْ جلودَ الشركِ عن تبريحها   والشركُ يبكيها ، ويندبُ آلها

واستوحِ أشلاء القليب . فانها   تبيانُ « بدرٍ » إن أردْت مقالَها

يا يومَ بدرٍ : والمواقفُ جمةٌ   فيكَ الحنيفةُ زايلَتْ أسمالَها

لبست دروعكَ سابغاتٍ في الوغى   ومضتْ بساحِك تستثير رجالها

تلقى « محمداً النبيّ » يقودُها   ويُعزُّ رايتها ، ويُنهضُ قالها

ويذودُ عنها العادياتِ بحلمهِ   حيناً ، وحيناً يستجيبُ قتالَها

ما اللاتُ؟ ما العزّى؟ وأين مناتهم؟   غال الحنيف عبادها ، وأزالَها

والشركُ نكسه الجهادُ . فلم يقمْ   أرأيتَ « هنداً » مثّلَتْ أمثالَها؟

تدْعو النساء إلى العويل ، وتنتضى   سيفَ المهانةِ لم يفتْ أبطالها

تُغرى الوغى بملاحمٍ دمويّةٍ   شمواء تُنهض بالرماح سَجالها

بعثتْ من البيض الخفافِ رسالةً   حَلقَتْ لها يافوخَها وقذالها

وجفَتْ غدائرها وألقت قُرطَها   وتناهبت حسراتُها خلخالها

تحدو الرجال إلى المواقعِ تارةً   وتسير أخرى تستفزّ خبالها

كوَساوِسِ الشيطان أغرتْ مؤمناً   لجفا مودّتها ، وعافَ وصالها !

ما غاظها جيشُ السماء . وإنما   جيشُ « المهاجر » يوم بدْرٍ غالها!

بَرز الحَنيفُ على الحياض إلى الردى   يرمى الجهالةَ أو يَدُعّ مِطالها !

وكأنّ أرضَ اللهِ تقذفُ مابها   وسماءهُ تولى النبيَّ نِضالها !

والكفر في بؤر الخنا متطلعٌ   للعدوة الدنيا يرى رئبالها !

ويحسّ في كفيه أنفاسَ الوغى   تُبْدِي من الصمتِ الرزين مَلالها

ألوى بجيش الشرك مرهُوبَ القنا   ونضا قراهُ ، وما نضَت سِربالها

⊛ ⊛ ⊛

يا باسطَ الكفين في كنفِ العُلا   تَدْعو السماء . وما تركْت سؤالَها

النصر وافى ، واصطفتْك مغانمٌ   والله قسمَ بينَكم أنفالَها

فلِذات مكة في رباك سوائل   تزجو نَدَاك وما رجوتَ نوالها!

كانت تريكَ ببطن مكة بغيها   أفلا أرتك لدى الوغى استبسالها ؟

خيرَ البريةِ : تلك عقبى صابرٍ   لاحتْه مكة : ظاهرت جُهّالَها

جنباتُ مُلْكِ الله فزّع دُعمها   دعَواتك اللائى نمَرت إلا لهَا

والعرشُ حوّم في رحاب المنتهى   يُصْغى لسدرتها وأنت حيالَها

ويمدّ أجنحةَ الجلال لمنكِبٍ   بادى اللآلى يجتلى لألَها

جافته بردتُكَ الشريفة مذرأت   مَلأ العلا يُضفِي عليه مثالها

لو يعلم « الصدّيقُ » عند وقوعها   ما ترْتديه هالة ما هالهـا !

وسباه من وادى السَّنا لحاتُه   ومَضى إليها يبتغي إمهالها !

ليرَى تحيتها لوجْهك ضاحياً   ويَراكَ توليكَ العُلا إجْلالها !

ويَراك والسبعُ الطباقُ خواشع   ويَراك والدنيا ترَاك عَالَها !

نور الجلالة تحت ثوبك مشرق   يَهدى السماء نجومها وهلالَها ،

من غيرِ هدْيِك ماتبسم طالع   في أمة أغرَى الهوَى اهمالَها !

⊛ ⊛ ⊛

تلك الخلائق يا محمّدُ : أعرضتْ   ورأت حرامَ الراشدين حَلالَها !

رجعتْ بها الأهواءُ عن غاياتِها   وتقمّصَتْ في العاجزين كلالها

فُتنتْ بزائفة النهوض ، ولو رأتْ   مَجْدَ الأوائل أكبرتْ أطلالَها

كَفَرتْ على مهدِ الندى آباءها   وجفَتْ على قرْب المدى أخوالها

جادتْ على وادى السماح بِرُوحها   للناهبين ، وما رعَتْ إقلالها

جعلت لخاذل دينها تسليمَها   ولناصريه المتّقين جدالها

ولو انها التمستْ هداك لصافحتْ   غدَوَاتكِ البيض الخطا آصالها